الاركيولوجية التي يمكن ان تزودنا بمعلومات في هذه الناحية لا تعترف بوجود اي فاصل ثقافي بين الكنعانيه واليهودية »، وبذلك يكون اليهود قد ثبتوا في توراتهم الطقوس والشعائر التي كانوا يمارسونها فعلا قبل السبي . ويتفق الباحثون على ان المنظومات الشعرية ومن ضمنها ، المزامير والامثال ، الواردة في كتاب العهد القديم كلها مقتبسة من الكنعانيين وكانت تتلى في عهد الملوك باللغة الكنعانية ثم ترجمت الى العبرية وادخلت في التوراة عند تدوينها . ومع كل ذلك نجد بعض الباحثين مع انهم يذكرون هذه الاكتشافات في مصنفاتهم ، الا انهم تعوزهم الشجاعة العلمية والجراة الادبية للتصريح كون التوراة التي بين ايدينا من صنع الكهنة في وقت متاخر وقد اقتبسوا محتوياتهم من مدونات سبقتها ثم ترجموا منها الى العبرية ما اتفق مع اهوائهم ومصالحهم ونبذوا ما لم يرغبوا فيه .

٤٥ ــ يتضح مما تقدم ان اليهود لم تكن لهم اية مساهمة في تقدم الحضارة الانسانية فلغتهم مقتبسة من الارامية وشرائعهم ماخوذة من الكنعانيين والبابليين والمصريين اي انهم تسلموا حضارة لم تكن من ابداعهم بل كانت من نتاج غيرهم . وهذا يدل على انه ليس فيما دون في التوراة ادب مبتكر خاص باليهود لان ما ورد فيها مقتبس من مدونات سبقتها كان رجال الدين من اليهود محيطين بها .

لذلك فاذا كان لليهود فضل على الحضارة فهو ينحصر بمحافظتهم على جانب من ثقافة الكنعانيين العرب وآدابهم الدينية وجغرافية بلادهم وذلك باقتباسها ونسخها الى كتبهم المقدسة ثم نقلها الينا عبر الزمن الطويل .

٤٦ ــ ان اهم ما كان يهدف اليه كتبة هذه الديانة هو ارجاع نسبهم المجهول الى ابراهيم الخليل الذي يمثل القدس واقدم شخصيات العصر القديم ثم تثبيت عقيدة الارض الموعودة وعزوها الى ابراهيم ويعقوب وموسى وهؤلاء بريئون منها ، وذلك من غير ان يتطرقوا الى الفاصل الذي يفصل بينهم وبين عصر ابراهيم الخليل .

٤٧ ــ وانطلاقا من هذه الاحاسيس والعقد النفسية المستحوذة على هذه الزمرة الكهنوتية اتخذ كتبة هذه الديانة من النبي موسى بطلا لها ومن الاله يهوه ربها الخاص بها دون بقية الناس ونسبوا كل شيء تمنوه مما يمس مصلحتهم ويحقق احلامهم اليها . كما اتخذوا من يعقوب (اسرائيل) النسب واعتبروه جدهم ، ومن ابرام (ابراهيم الخليل) الصلة الروحية واعتبروه جدهم الاكبر مما يجعلهم اهلا ليكونوا الشعب المختار ، لان هذه الشخصيات كانت تتمتع بقدسيتها الموروثة وسمو مسلكها الكهنوتي في بلاد كنعان بل في الشرق الادنى كله . هذا وقد اتخذوا من كنعان عقيدة الوطن الموعود الذي « بفيض لبنا وعسلا » وعزوا كل ذلك الى الاله « يهوه » الذي ابتدعوه ربا خاصا بهم والى ابراهيم ويعقوب وموسى وكلهم بريئون منها، **وبكتابة هذه التوراة الجديدة واذاعتها على لسان عزرا (كاتب شريعة اله السماء) تبدا الديانة اليهودية التي تمثل نفس المبادىء التي تستند اليها الصهيونية اليوم .**

٤٨ ــ والنظرية التي يعتمد عليها عدد غير قليل من العلماء ان اكثر الاسماء التي اطلقها كتبة الاسفار على ابطال قصصهم هي في الاصل اسماء كنعانية لاشخاص عرف كل منهم باقامته في احدى الامكنة من فلسطين فسميت باسمائهم تكريما لهم ، وقد اتخذ اليهود هذه الاسماء في توراتهم اسلافا لهم .. وهكذا فقد حاك اليهود حول هذه الاسماء والامكنة ما شاء لهم الهوى من القصص والاساطير واحتكروها باسم اسلافهم المزعومين .

ويؤكد الكاتب الفرنسي (جان لوي برنار) ذلك بقوله : « وتتحسس كل التحسس ان الاحبار قد اقتبسوا من تواريخ الاقطار التي جاسوا خلالها بعض الحكايات (لعبرنوا) كل المعلومات (اي اعتبروها عبرانية بمعنى يهودية) الغرض منها تلفيق اكذب تاريخ للعالم ، وكل ذلك لاختراع ملفقة الشعب اليهودي المختار » . ولا ريب ان كل جماعة تكتب تاريخها كما تحب وتهوى لا كما تريد الحقيقة المجردة من كل غرض ، فهي تجتهد في اظهار اصلها مقترنا باسمى الشخصيات من الاجداد التي تتمتع بماض عريق وشهرة واسعة وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية ، قديما وحديثا ، ان ابراهيم الخليل غادر العراق ومعه اليهود الى فلسطين في حين ان اليهود ظهروا بعد عهد موسى اي بعد ابراهيم الخليل باكثر من الف عام وقد قبلت الاجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني وملاحظة العصور بحسب تواريخها .

٤٩ ــ ويلاحظ ان اكثر الكتاب العرب بل جميعهم يقلدون التوراة باهمال التمييز بين عصر وآخر عندما يبحثون تاريخ فلسطين القديم ، فياخذون باسلوب التوراة في عرض الحوادث التاريخية ، وآخر ما مر على من كتب تبحث في تاريخ فلسطين كتيب طبعته على ما يظهر ادارة الجامعة العربية في لندن باللغة الانكليزية بعنوان « غرباء في فلسطين » ، وكنت اتصور من العنوان قبل ان اتصفحه ان المؤلف يريد ان يبرهن على ما جاء في العنوان ، اي ان يبرهن على ان اليهود كانوا « غرباء في فلسطين » ولا صلة تاريخية لهم بها وهم طارئون عليها كما هو الواقع التاريخي فعلا ، واذا بالكاتب يستعرض تاريخ اليهود في فلسطين بنقل الحوادث كما وردت في التوراة من غير تمييز بين عصر وآخر ، ولما ذكر تاريخا واحدا من تاريخ فلسطين القديم وقع في خطا لا يغتفر على المؤرخ المحقق ، وهو جعل تاريخ غزو فلسطين على عهد يشوع سنة ٧٠٠ قبل الميلاد في حين ان التاريخ الحقيقي هو القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، اي ما قبل التاريخ المذكور بستة قرون (١١) . والمفروض ان هذا الكتيب اعد لاظهار حق العرب في فلسطين في حين انه لم يحقق الا عكس المطلوب فخدم كاتبه الدعاية الصهيونية من حيث لا يدري ، وذلك بقبول كل ما ورد في التوراة كحقائق تاريخية مقبولة ، وهذا هو الذي يريده الصهيونيون بالضبط فجاء على لسان العرب انفسهم .

٥٠ ــ ومن اغرب ما ورد في هذه التوراة التي حاكها الكهنة في الاسر البابلي ان تعاليمها الخاصة بالحرب مع اهل فلسطين توصي بل تامر بقتل الاطفال والنساء والشيوخ والبهائم ، كما توصي باحراق المدن وابادة اهلها وعدم استبقاء نسمة ما منهم . وقد جاء في القرآن الكريم تحذير لبني اسرائيل من مغبة هذه الاعمال المنكرة التي ادخلوها في كتبهم وقالوا هذا من عند الله ، فنزلت الآية الشريفة : « من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا » . وفي القرآن الكريم آيات اخرى تامر بالمودة ، وتجنب المعاداة ، والبر بمن لا يقاتل ، تقييما للنفس حتى بالنسبة الى الاعداء . فقد جاء في سورة الممتحنة : « عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة .. لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » . وبمثل ذلك يامر الانجيل الامة المسيحية فيقول : « زيدوا على ايمانكم الفضيلة ، وعلى التقوى المودة الاخوية ، وعلى المودة الاخوية المحبة » .

٥١ ــ ومما هو اكثر غرابة في هذه الديانة انها اتهمت موسى ، الرسول ، كما اتهمت اخاه هرون بخيانة الرب فحكم عليهما الرب بالموت لانهما لم يقدساه ! وقد كان من الطبيعي ان تثار تساؤلات حول ذلك : هل مات موسى موتا طبيعيا ، وهل امر الاله بموته حقا ؟.. فقد استخلص الباحث الالماني (سيللين) من بعض الفقرات في سفر هوشع من العهد القديم

ان هنالك دلائل على ان موسى مات شهيدا حيث اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريبا . وهنالك من يرى ان يشوع بن نون هو الذي اغتال موسى حيث استصحبه الى اعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن ان الامر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقا لما قد امر به الرب. وهكذا تجعل هذه الديانة النبي موسى خائنا فكيف اذن تنسب هذه الديانة اليه وتصبغ عليها صفة القدسية ؟

٥٢ ــ هذه هي الديانة اليهودية التي ابتكرها الكهنة في الاسر للخروج من محنتهم تنفيسا لاحساساتهم الفارقة في عقد نفسية معينة نتيجة الياس وليد الآمال ، وذلك بعد مرور ثمانيمائة عام على عهد موسى وبعد انحرافهم عن دين موسى واتهامه بالخيانة ، وهذه هي توراتهم التي بين ايدينا اليوم، فهي ترتكز على نقطة رئيسية واحدة تدور عليها جميع الحوادث الرئيسية، الا وهي وعد الرب بمنح ارض كنعان لليهود مع منحهم الحق بقتل اهل كنعان وابادتهم عن آخرهم ليحلوا محلهم .

ما اعظمها من ديانة مقدسة تقوم على اساس قتل النساء والاطفال والشيوخ !.

نعم هذه هي الديانة التي يستند اليها الصهاينة اليوم لتبرير اجلاء اهل فلسطين وقتلهم ليحلوا محلهم لان توراتهم رفعتهم الى مقام الشعب المختار وقد اصطفاهم الرب من دون الاقوام .

٥٣ ــ وينبهنا القرآن الكريم الى تحريف توراة موسى وانحراف اليهود عنها بما كتبوه وقالوا هذا من عند الله ، فقد جاء في الآية ٧٩ من سورة البقرة قوله تعالى : « فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » . وفي الآية ٧٥ من نفس السورة : « افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » . وفي آيات اخرى تاكيد لتحريف اليهود للتوراة : « من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (سورة النساء الآية ٤٦ ، سورة المائدة الآيتان ١٣ و ٤١) ، « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله » (سورة الجمعة الآية ــ ٥) .

٥٤ ــ والتوراة التي دونها اليهود في الاسر عند عرضها للحوادث التاريخية ، لم تحدد التسلسل الزمني ، ولم تنسق الحوادث بحسب ازمانها وادوارها . وذلك لكي يلتبس الامر على القارىء فيعجز عن تحديد مراحل الاحداث التاريخية وتتبع زمن كل منها . والارجح ان مدونيها تعمدوا ذلك لافساح المجال لارجاع تاريخ اليهود الى ازمنة سابقة لوجودهم ،

فخلطوا بين ادوار تفصل بينها عدة قرون ، اذ ربطوا احداثا تعود الى عصور متباعدة وعدوها عصرا واحدا ، ومن ذلك مثلا ربط عصر ابراهيم الخليل بعصر ملوك الفلسينيين وعدوهما عصرا واحدا ، فجعلوا ابراهيم الخليل معاصرا لهؤلاء الملوك يقابلهم ويحدثهم ، في حين ان ثمة فاصلا بينهما يمتد زهاء سبعة قرون ، ومثل ذلك فعلوا بربط عصر ابراهيم الخليل بعصر موسى واتباعه على الرغم من وجود فاصل بين الدورين يمتد زهاء سبعة قرون من الزمن ايضا ، كما انهم ربطوا عصر اليهود الاخير بعصر موسى على الرغم من وجود فاصل يفصل بينهما يمتد زهاء ثمانيمائة عام . وقد عدوا كذلك ابناء يعقوب الذين عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد موجودين في عهد موسى ويشوع في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد وزعت ارض فلسطين عليهم . ونكرر هنا ما سبق ان ذكرناه في المادة (٤٨) من ان اسماء الامكنة التي نسبت في التوراة الى الاسباط الاثني عشر هي اسماء كنعانية قديمة لاشخاص سكنوها فسميت باسمائهم فاحتكرها اليهود باسم اسلافهم المزعومين .

ولم يكتف اليهود بان جعلوا تاريخهم يرجع الى عهود قديمة لم يكن لهم اي وجود فيها ، بل ساروا على هذا النحو في ارجاع لغتهم العبرية الى عهود قديمة لم يكن لهم اي وجود فيها ، فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية قبل دخولهم ارض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد واطلقوا عليها اسم (عبرية التوراة) (Biblical Hebrew) في حين ان العبرية لم تظهر الا بعد مرور اكثر من ستمائة عام على دخول اليهود ارض فلسطين فكتبوا العهد القديم بها ، والغريب ان اكثر الباحثين قد اخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي .

وقد ذهب بعضهم الى جعل لغة جماعة « العبيرو » القديمة القريبة من اللغة السامية الام لغة التوراة (Biblical Hebrew) وان العبيرو هم العبرانيون اي اليهود (انظر الفقرة ٣٥ عن العبيرو) . وعلى هذا الاساس سموا هذه اللغة « عبرانية التوراة » كما تقدم ، وذلك قبل ان تظهر التوراة الى عالم الوجود (١٢) . ولكن اليهود مهما ارادوا تزييف الحقائق التاريخية وكيفما تلاعبوا في التسميات فالامر الذي لا يرقى اليه اي شك، هو ان اللغة الام التي كان يتكلم بها جماعة « العبيرو » في العصر القديم يمكن ان تكون اي شيء الا العبرية بمعنى اليهودية ، لان اليهود لم يظهروا الى عالم الوجود الا بعد عصر موسى ولم يدونوا توراتهم باللغة العبرية المقتبسة من الارامية الا بعد زمن « العبيرو » باكثر من الفي سنة .

٥٥ ــ وقد تعمد مدونو التوراة ايضا اقصاء الكنعانيين والفينيقيين سكان فلسطين الاصليين من كتلة الساميين لعداء اليهود الشديد لهم ، مع انهم كانوا يعلمون حق العلم انهم هم الساميون العرب اهل البلاد ، في حين انهم حشروا في الاسرة السامية شعوبا لا يعدها العلم الحديث من جماعة الساميين مثل العيلاميين واللوديين ، كما انهم عدوا الحيثيين من ذرية كنعان وقد صب كتبة التوراة جام حقدهم على الكنعانيين فنعتوا كنعان بالملعون « وعبد العبيد ليكون لاخوته وعبدا ليافث » .

ويقول « بروكلمن » في ذلك « ان العبرانيين (اي اليهود) كانوا قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام ، بسبب العداء الذي كان بينهم وبين الكنعانيين والذي يتمثل في قصص الحروب التي نشبت بين الطرفين ودونت اخبارها في اسفار التوراة ، فحملهم عداؤهم هذا لهم وحقدهم عليهم على التنصل منهم ، وعلى التبرؤ من الحاق نسبهم بشجرة انساب سام بن نوح » .

الهوامش

(٣) دائرة المعارف البريطانية ، طبعة ١٩٦٥ ، ج ١١ ، ص ٢٧٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٢٦ ــ ٢٧ ، ٧٥ ، ٢٨٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ــ ٤٥٣ .

(٥) انظر كتاب سولوف « كيف نما الشعب اليهودي » ص :
Mordecai I. Soloff, «How the Jewish People grew up?».

(٦) أدولف ارمان ، «مأساة مصر القديمة» ، الترجمة العربية ، ص ٢٩ : ٢١٤

(٧) I.G. Griffiths, Journal of Near Eastern Studies, XII, 1953, P. 227.

(٨) يوسف الدبس ، « تاريخ سورية »

(٩) الدكتور سامي سعيد الاحمد ، « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » ١٩٦٦ ، ص ١٢ .

(١٠) A.H. Silver, « Moses and the Original Torath », N.Y., 1961, P. 76.

(١١) « Strangers in Palestine », London, 1970, P. 83.

(١٢) H.M. Orlinsky, « Ancient Israel », N.Y., 1956, P. 18.

البقية في العدد القادم